التغلغل الإسرائيلي في دول آسيا الوسطى: الوقائع... الأهداف

أ.م.د. خضير عباس أحمد النداوي*
أكاديمي وباحث من العراق

* كلية العلوم السياسية ـ جامعة النهرين.

مقدمة

بعد أن نجح اليهود في إقامة كيانهم في مايس/ مايو من عام 1948 وضع «ديفيد بن غوريون» أول رئيس وزراء لهذا الكيان، في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، بعض ثوابت السياسة الخارجية التي أعتبرها ضرورية لتجاوز ما سُمي (الطوق العربي)، والحصار الدولي على كيانه، واعتمد في سبيل تخطي الصعوبة الأولى ما عُرف بـ (سياسة القفز فوق الحواجز الإقليمية)[1]، أي أنه ربط دور الدولة العبرية الجديدة في بادئ الأمر بأوثق العلاقات مع كل من إيران وأثيوبيا وتركيا كثلاث محطات رئيسة يمكن عن طريقها إقامة جسور أمنية واقتصادية وسياسية تساعد على التخفيف من وطأة الحصار العربي. وركزت الدولة العبرية الفتية جُل اهتماماتها الإقليمية لسنوات طويلة خلت عقب تأسيسها مع الدول القريبة والمتاخمة للدول العربية، انطلاقاً من تصوراتها الاستراتيجية لشد الأطراف لإقامة علاقات وطيدة ومتداخلة معها ولاعتبارات عديدة في مُقدمتها لتخفيف حالة العداء أو الضغط العربي والإسلامي عليها فضلاً عن تحقيق مصالح سياسية واقتصادية مباشرة مع هذهِ الدول.

(1) عبد المعطي زكي، التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى.. رؤية استراتيجية، بحث منشور في شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت)، بتاريخ 2011/11/30 وعلى الرابط: : http://www.alamatonline.net/l3.php?id=1211

يأتي التغلغل (الإسرائيلي) في دول آسيا الوسطى، ضمن هذا السياق لضمان تنفيذ هذه الاستراتيجية لتحقيق أكثر من هدف في آنٍ واحد، ولا سيّما أن دول آسيا الوسطى الحديثة الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي تُشكل هي الأخرى عامل جذب واستقطاب سياسي واقتصادي لدول العالم بصورة عامة، ولدول منطقة الشرق الأوسط ومنها «إسرائيل» على وجه التخصيص،

دول آسيا الوسطى الحديثة الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي تُشكل هي الأخرى عامل جذب واستقطاب سياسي واقتصادي لدول العالم.

لإعادة بناء اقتصادياتها على وفق آليات اقتصاد السوق، وذلك لكونها تحظى بأهمية «جيوبولتيكية» واقتصادية مهمة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي في عام 1991، فقد أصبحت أهم طرق اتصال مناطق شرق وجنوب آسيا بالمياه المفتوحة نحو البحر المتوسط وعبر الطرق البرية نحو الخليج العربي إلى جانب تمتعها بثروات طبيعية متعددة، وبخاصة النفط الخام والغاز الطبيعي واليورانيوم الأمر الذي هيأ المناخ لدخول هذه الدول سريعاً في معترك الساحة الدولية ومشاركتها بكثافة في التفاعلات الجارية على تلك الساحة.

وقد أدركت «إسرائيل» تجاوب غالبية قادة دول آسيا الوسطى، ولعلَ أفضل تعبير لهذا الإدراك ما ذكره رئيس جمهورية أذربيجان «ألهام علييف» بوصفه خصوصية علاقات بلاده مع «إسرائيل» بكونها (جبل جليد يتوارى 90% منه بعيدا عن أعين الدخلاء)، مما ساعد في السنوات التي أعقبت استقلال هذه الدول بعد عام 1991 على ترسيخ التوجهات (الإسرائيلية) في دول آسيا الوسطى.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي

أولاً: مفهوم التغلغل: يعني التغلغل «لغة»: أسرعَ في السير، وتغلغلَ في الشيء: دخل فيه، وتغلغل الماء في الشجر: سَرى فيه[2]. وينصرف مفهوم التغلغل من الناحية العملية، إلى الفعل الذي يستهدف عملية اختراق شيئاً ما. وفي الميدان السياسي يعني التغلغل، السلطة والقوة على التدخل في البلد أو المنظمة لإقامة نفوذ أو الحصول على معلومات. وفي الميدان العسكري يستهدف الهجوم الذي يخترق أراضي العدو أو جبهته العسكرية أو العمق الذي توصلت إليه القذيفة بعد إصابتها الهدف المُحدد لها. وفي الميدان الاقتصادي يتضمن التغلغل بيع السلع والخدمات أو تنظيم دور لها في أسواق مُعينة. وفي الميدان الثقافي، يركز التغلغل على مديات التأثير الثقافي لدولة ما على ثقافة الأمم الأخرى[3] وفي كل الاعتبارات فالتغلغل فعل هجومي يستعمل وسائل مختلفة،يستهدف اختراق الميادين الأساسية للساحة المستهدفة.

(2) لتفاصيل أكثر انظر مفهوم التغلغل لغة، في شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) وعلى الرابط: http://www.almaany.com/home.php?languag84

(3) The Free Dictionary, Penetration. It is available at: https://www.google.iq/webhp?

ثانياً: «إسرائيل»: كلمة عبرية تُنطق (إسرائيل) وتعني «المصارع مع الرب» أو

«الذي يُحارب الخالق من اجله» أي إنها كلمة ذات دلالة دينية يهودية خاصة، وقد استعملت الكلمة للإشارة لمملكة اسرائيل القديمة، أما في العصر الحديث فقد استعملها الصهاينة للإشارة للدولة الصهيونية في فلسطين[4]، بعد مطالبة الحركة الصهيونية بتأسيس دولة «لإسرائيل» منذ أواخر القرن التاسع عشر، كان أساسها فكرة أرض(إسرائيل التوراتية)، والتي هي واحدة من المواضيع الرئيسة للفكر الصهيوني. وبعد الحرب العالمية الأولى قررت عصبة الأمم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني من أجل إيجاد «وطن قومي للشعب اليهودي»، على وفق وعد «بلفور» وفي عام 1947 أقرت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين إلى دولتين ـ يهودية وعربية على الرغم من رفض جامعة الدول العربية للخطة، قامت دولة «إسرائيل» على أساس إعلان 14 أيار/مايو» 1948 وتوسعت حدودها نتيجة الحروب مع الدول العربية خارج قرار الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين[5]، وتبلغ مساحتها المُعترف بها دولياً(770، 20) كم2، فيما يبلغ تعداد سكانها نحو (8، 7) مليون نسمة، يُشكل اليهود منهم نحو (9، 5) مليون نسمة، فيما يبلغ عدد السكان العرب نحو (6، 1) مليون نسمة على وفق الإحصاءات الرسمية (الإسرائيلية) لعام 2012[6]. ومع صغر مساحتها وانخفاض عدد سكانها، إلا أنها تغلغلت في العديد من مناطق العالم ومنها دول آسيا الوسطى وتتجسد قوتها في تحالفها الدائم مع دولة عُظمى، ومساعدة الدول الغربية له ودعم ومساندة الجاليات اليهودية المتنفذة في العديد من دول العالم،وقدراتها العسكرية والنووية وتقدمها التكنولوجي، واستقرار نظامها السياسي، وكذلك في انقسام وتشرذم الدول العربية والإسلامية.

(4) عبد الوهاب محمد المسيري وسوسن حسين، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية، (القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، 1974)، ص74.

(5) لتفاصيل أكثر انظر موضوع «إسرائيل» والمنشور في الموسوعة الحرة، في شبكة المعلومات الدولية وعلى الرابط: http://ar.wikipedia.org/wiki

(6) Statistic Abstracts of Israel, Yearbook, 2012, p97

ثالثاً: آسيا الوسطى: تُعد آسيا الوسطى أو (ترانس أوكسانيا)، وهو الاسم الذي كانت تُعرف به حتى بداية القرن العشرين، وهي ترجمة لاتينية لأسم (بلاد ما وراء النهر)، الذي أطلقه العرب عليها عندما فتحوا تلك المنطقة في القرن الهجري الأول. وَتضمُ كل من أوزبكستان وطاجيكستان وكازاخستان وتركمانستان، وفي محاولة لوضع إطار عام لتعريف منطقة دول آسيا الوسطى هناك معياران[7]:

(7) خضير عباس احمد النداوي، الاستراتيجية النفطية الأمريكية في دول حوض بحر قزوين، الأردن ـ عمان: دار دجلة ناشرون وموزعون، 2014، ص109.

1. المعيار الاستراتيجي: ويتمثلُ في وجودِ مجموعة من المصالح والأهداف الاقتصادية المشتركة بين مجموعة دول آسيا الوسطى، أذ جلب انهيار الاتحاد السوفيتي سنة 1991، الاستقلال لجمهورياته الجنوبية وتتشكل هذه

الجمهوريات التي يشار إليها اصطلاحاً بدول (آسيا الوسطى) من: كازاخستان وتركمانستان، وأوزبكستان، وطاجيكستان، وقيرغيزيا، فضلاً عن أذربيجان، والتي تحتل مساحة واسعة من الأرض تزيد على (6، 1) مليون ميل مربع معظمها تضاريس صعبة إلى حد يصعب تخيله، ويبلغ تعداد سكان هذه الدول نحو (5، 71) مليون نسمة[8].

(8) أيان رتلبدج، العطش إلى النفط، ماذا تفعل أميركا بالعالم لضمان أمنها النفطي، ترجمة مازن الجندلي بيروت: الدار العربية للعلوم، 2006، ص 163.

2. المعيار الجغرافي: نظراً لعدم وجود اتفاق واضح ومحدد في أدبيات الجغرافية السياسية حول تعريف آسيا الوسطى، باستثناء الاتفاق على إنها في قلب القارة الأسيوية، فهي ليست لها حدود جغرافية دقيقة ومحددة لكونها تُعّرف بأنها منطقة تقع في قلب آسيا الوسطى بعيدة عن المحيطات والبحار الكبرى، على الرغم من ذلك ظهرت آراء واتجاهات عدة تّعرف منطقة آسيا الوسطى وتحددها جغرافياً، ويمكن إيجازها بالاتجاهات الآتية:

الاتجاه الأول: ويحددها على إنها المنطقة المحصورة بالدول الآتية: طاجيكستان أوزبكستان، قيرغيزستان، وتركمانستان، وتُستثني كازاخستان، ويمثل هذا التيار (جيفري هويلر) وهو من كبار المتخصصين بشؤون آسيا الوسطى.

الاتجاه الثاني: يحدد منطقة آسيا الوسطى بأنها المنطقة الممتدة شرقي الخط الممتد جنوبي شرقي الاورال وبحر قزوين وحتى شمال غربي الصين ومنغوليا ويمتد طويلاً من جنوب سيبريا في الشمال إلى شمالي وشمالي شرق إيران وأفغانستان ومنغوليا والأقاليم المستقلة ذاتياً في غرب الصين (منغوليا الداخلية وإقليم سيغيانغ بوجور، والتبت)، فضلاً عن كازاخستان والجمهوريات الأربعة الأخرى (طاجيكستان، وأوزبكستان قيرغيزيا، وتركمانستان)، وهذا التيار تمثله دائرة المعارف البريطانية وهو واسع جداً[9].

(9) محمد السيد سليم، التحولات العالمية والتنافس الدولي على منطقة آسيا الوسطى، الجيزة: مركز الدراسات الأسيوية بجامعة القاهرة، 1998، ص 314.

الاتجاه الثالث: ويعكس ما تمثله الموسوعة البريطانية، والتي تذكر بعدم وجود حدود جغرافية دقيقة لهذه الدول، بقدر ما تعكسه حضاراتها التاريخية، فهي تحددها، بأنها الأرض التي تحدها من الشمال سيبريا، ومن الجنوب إيران وباكستان والهند وبنغلاديش، وهذه المساحة تضم (كازاخستان، وتركمانستان، وأوزبكستان وقيرغيزستان، وجزء من إقليم سيغيانغ الانفصالي في الصين[10].

(10) The New Encyclopedia Britannic, Philip w.goetz.Editor, vol.15 th (Washington: Library of Congress, 1987) p. 732.

أما **الاتجاه الرابع**: فيمثله الباحثون العرب إذ يحددون منطقة آسيا الوسطى بالدول ذات الأغلبية الإسلامية وهي: كازاخستان، قيرغيزيا، تركمانستان، أوزبكستان، طاجيكستان ويضيفوا إليها جمهورية أذربيجان الواقعة في إقليم القوقاز والمطلة على بحر قزوين[11].

(11) محمد ياس خضير خلف الغريري، سياسة الولايات المتحدة الأميركية تجاه منطقة آسيا الوسطى بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، بغداد، 2005، ص 3و4.

في ضوء ما تقدم، فأن هذه الجمهوريات الست التي تقع في وسط آسيا عدا آذربيجان التي تقع على الساحل الغربي لبحر قزوين ضمن إقليم القوقاز، أصبحت حدودها الجغرافية والسياسية واضحة المعالم، وكما يأتي:

- **جمهورية أذربيجان**: هي الجمهورية الإسلامية الوحيدة التي تقع في إقليم القوقاز خارج منطقة آسيا الوسطى[12]، ولكنها تطل على بحر قزوين، وتقع أذربيجان في الجزء الشرقي لمنطقة ما وراء جبال القوقاز. وهي أصغر الدول الثلاثة المتشاطئة لبحر قزوين من جمهوريات آسيا الوسطى، وتبلغ مساحة أذربيجان نحو (600، 86)كم^2، فيما يبلغ عدد سكانها نحو (256، 8) مليون نسمة، وتمتلك مصادر طبيعية متنوعة أهمها: النفط، والغاز الطبيعي والحديد، والألمنيوم. وتنتج مواد زراعية متنوعة منها: القطن، والخضراوات والتبغ الرز والشاي والفواكه[13].

(12) الموسوعة الحرة: أذربيجان، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، وعلى الرابط: www.ar.wikipedia.org

(13) فوزي درويش، التنافس الدولي على الطاقة في بحر قزوين، ط 1 (طنطا: مطبعة غباشي، 2005) ص 20.

- **جمهورية كازاخستان**: تُعد أكبر الدول الإسلامية المستقلة حديثاً عن الاتحاد السوفيتي تقع في وسط قارة آسيا، أو فيما يعرف حديثاً بقارة أوراسيا، وجزئياً في أوروبا الشرقية، شرق نهر الاورال، وعلى مفترق الطرق للحضارات القديمة، وتعد أكبر دولة إسلامية في العالم من إذ المساحة، إذ تبلغ مساحتها الكلية (900، 724، 2 كم^2) وتحتل المرتبة التاسعة في العالم من إذ المساحة. فيما يبلغ عدد نفوسها نحو (600، 16) مليون نسمة، وتمتاز جمهورية كازاخستان بكونها تمتلك ثروات طبيعية هائلة، وتحتل المرتبة الأولى في العالم باحتياطاتها المكشوفة من الزنك، والمرتبة الثانية من الفضة والرصاص والكروم والمرتبة الثالثة من النحاس، والمرتبة السادسة من الذهب، وتعّد كازاخستان الدولة النفطية الأولى من دول حوض بحر قزوين وتتركز احتياطاتها النفطية والغازية في المناطق الغربية من أراضيها[14].

تعّد كازاخستان الدولة النفطية الأولى من دول حوض بحر قزوين وتتركز احتياطاتها النفطية والغازية في المناطق الغربية من أراضيها.

(14) لتفاصيل أكثر انظر الموقع الرسمي لسفارة جمهورية كازاخستان في دولة الكويت في شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) وعلى الرابط: http://www.kazembsaudi.com/ar/pages/24/

- **جمهورية تركمانستان**: تقع في الجنوب الغربي لمجموعة دول بحر

قزوين.. تبلغ مساحتها (100، 488) كم2، وهي تطل على بحر قزوين بمسافة طولها (1768) كم[15]. يبلغ عدد سكان جمهورية تركمانستان نحو (6، 9) مليون نسمة، وتمتلك ثروات طبيعية كبرى، أهمها الغاز الطبيعي، النفط، الرصاص، والفضة، وتمتلك ثروات زراعية متعددة، وأهمها القطن[16].

- **جمهورية أوزبكستان**: تقع جمهورية أوزبكستان على سفوح جبال (تيان شان) القسم الجبلي الواقع في إطراف وادي فرغانه، وتبلغ مساحتها (400، 447)كم2، فيما يبلغ عدد سكانها (27، 730) مليون نسمة، تمتلك أوزبكستان موارد طبيعية أهمها: الغاز الطبيعي، النفط، الذهب، الفحم، اليورانيوم، الفضة، النحاس الرصاص والزنك[17].

- **جمهورية طاجيكستان**: أصبحت طاجيكستان إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي في كانون الأول (ديسمبر) 1929، وأعلنت طاجيكستان استقلالها عن الاتحاد السوفيتي في كانون الأول (ديسمبر) 1991[18]. وتبلغ مساحتها (100، 143) كم2. ويبلغ عدد سكانها (800، 455، 7) مليون نسمة. وتمتلك طاجيكستان موارد طبيعية عديدة أهمها: النفط، والغاز، اليورانيوم، والذهب، والفحم، والزنك[19].

- **جمهورية قيرغيزستان**: تقع جمهورية قيرغيزستان، وتسمى قرقيزيا، على امتداد الحدود الشرقية لمنطقة آسيا الوسطى، تبلغ مساحتها (198، 500) كم2، فيما يبلغ عدد سكانها نحو (300، 5) مليون نسمة، وتمتلك قيرغيزستان موارد طبيعية متنوعة أهمها: الذهب، الفحم، النفط، والغاز الطبيعي والرصاص[20]

وتعتمد معظم تجارتها الخارجية على المخشلات الذهبية والأحجار الكريمة وكذلك حجر الاثمد (حجر الكحل) والفحم، والزئبق، واليورانيوم، والزنك. ولا يكفي ما تنتجه من النفط والغاز للاستهلاك المحلي لذلك تعتمد على الاستيراد الخارجي في الوقت الحاضر[21].

المحور الثاني: التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى

أولاً: مراحل التواجد الصهيوني في منطقة القوقاز وآسيا الوسطى: عندما كانت دول آسيا الوسطى والقوقاز جزءاً لا يتجزأ عن الاتحاد السوفيتي، فإن

(15) محمد ياس خضير خلف الغريري، سياسة الولايات المتحدة الأميركية تجاه منطقة آسيا الوسطى بعد الحرب الباردة، مصدر سابق، ص6.

(16) فوزي درويش، التنافس الدولي على الطاقة في بحر قزوين، مصدر سابق، ص30.

(17) الموسوعة الحرة، طاجيكستان، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الرابط: www.ar.wikipedia.org

(18) U.S.Department of State.Kyrgyzstan.. It is available at: www.Statr.gov

(19) قيرغيزستان: معلومات أساسية، بحث منشور في شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) في 2007/7/17 على الرابط: http:// ar.wikipedia.org/wiki/

(20) U.s. Department of state Kyrgyzstan.. It is available at: wwww.statr.gov.

(21) Turkmenistan Embassy-Riyadh. KSA. About Turkmenistan. It is available at: -sa.org

تمتلك طاجيكستان موارد طبيعية عديدة أهمها: النفط، والغاز، اليورانيوم، والذهب، والفحم، والزنك.

علاقتها بدولة الكيان الصهيوني لم تكن مفصولة أو معزولة عن علاقتها بـ(موسكو)، أي إنها لم تكن مُستقلة في تحديد شكل علاقاتها بدولة (اسرائيل)، الأمر الذي جعل منها دولاً تابعة، وغير فاعلة في صنع العلاقة وتحديدها، على الرغم من إنها تعد دولاً إسلامية، كون أغلب سكانها من المسلمين، إلا أن هذا الأمر لم يؤثر بعد استقلالها عام 1990 على قرار حكومات دولها في فتح وبناء علاقاتٍ دبلوماسية وثنائية مع دولة الكيان الصهيوني. ولهذا فمن الممكن تقسيم التواجد الصهيوني في منطقة القوقاز وآسيا الوسطى إلى ثلاث دورات زمنية، على وفق الأحداث السياسية المعاصرة التي كان لها الدور الأكبر في رسم وتحديد العلاقات الثنائية، والتي يمكن إيجازها بالآتي:

- **المرحلة الأولى (1948 ـ 1985)**: عدّت منطقة آسيا الوسطى في هذه المرحلة مناطق مُحرمة وممنوعة على «إسرائيل»، وهي المدة الممتدة بين تأسيس دولة الكيان وصولاً إلى سنوات سقوط وتفكك الاتحاد السوفيتي، وإذ امتازت بوقوف المنطقة موقف الخصم مع الكيان الصهيوني تبعاً لمقتضيات الحرب الباردة، والعلاقات السوفيتية الأميركية وكذلك العلاقات العربية ـ السوفيتية، والصراع العربي ـ الصهيوني، ولم تكن لدول هذه المنطقة ـ لكونها كانت مقاطعات تابعة للسياسة المركزية للاتحاد السوفيتي ـ أية علاقات مع الكيان الصهيوني، ولم يكن لديها القدرة والحرية على تغيير شكل ونمط العلاقة لو أرادت، نظراً للمركزية الشديدة للعلاقات الخارجية التي كان الكرملين يتحكم بها ويسيطر عليها، على الرغم من المساعي الصهيونية الجادة التي قام بها مهاجرون روس إلى الكيان الصهيوني، إذ حاولوا الاستفادة من جنسيات بلادهم الأصلية، وعلاقاتهم الواسعة فيها، وقدراتهم المالية الكبيرة، التي أسهمت في بناء شركات تجارية عملاقة، كان لها دور كبير فيما بعد في رسم السياسات الخارجية لدول المنطقة.

منطقة آسيا الوسطى في هذه المرحلة مناطق مُحرمة وممنوعة على «إسرائيل»، وهي المدة الممتدة بين تأسيس دولة الكيان وصولاً إلى سنوات سقوط وتفكك الاتحاد السوفيتي

- **المرحلة الثانية (1985 ـ 1991)**: شكلت المرحلة الثانية على قصرها وعلى الرغم من ضعف القبضة المركزية السوفيتية، نقطة تحّول في تاريخ العلاقة بين المنطقة كلها والكيان الصهيوني، إذ أدت سياسة

«ميخائيل غورباتشوف»، آخر رئيس للاتحاد السوفيتي قبل انهياره، دوراً مهماً في تسويق «إسرائيل»، وتقديمها كدولة طبيعية لدول المنطقة.

- **المرحلة الثالثة (1991 ـ 2014)**: تعد هذه المرحلة هي الأطول والأخطر، وهي الأكثر تأثيراً وفعلاً، والأعمق أثراً ونفوذاً، إذ شكل تفكك الاتحاد السوفيتي نقطة انطلاق للمرحلة الثالثة من العلاقة التي جاءت نتائجها في كافة الميادين في مصلحة «إسرائيل»، والتي اعترفت بتلك الدول، وعملت على بدء علاقات معها على كل الأصعدة، وقد أدت تركيا في عقد التسعينيات من القرن الماضي، في ظل الحكومات القومية، دوراً كبيراً في فتح الباب للنفوذ الصهيوني، واستطاعت العديد من الشركات الصهيونية بدعم وغطاء من الشركات التركية أن تبدأ مشاريع ضخمة في القوقاز، وبذلك بدأ التدخل الاقتصادي والسياسي والأمني الصهيوني في تلك المنطقة[22]، مرحلة جديدة اتسمت بالتوسع والتطبيق العملي لسياسة «إسرائيل» في منطقة دول آسيا الوسطى.

استطاعت العديد من الشركات الصهيونية بدعم وغطاء من الشركات التركية أن تبدأ مشاريع ضخمة في القوقاز.

(22) مصطفى اللداوي، الكيان الصهيوني في القوقاز وآسيا الوسطى، طبيعة وأهداف التواجد، مجلة الوحدة الإسلامية، تصدر عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان، العدد 143، تشرين الثاني، 2013، ص 4.

ثانياً: أهداف التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى: عملت «إسرائيل» ولا تزال على تركيز جهودها وفي كافة الميادين، وبخاصة السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية، لتثبيت ركائز من شأنها تسهيل خطوات تغلغلها لتوطيد علاقاتها مع دول آسيا الوسطى، ولتطويق أنشطة الدول العربية والإسلامية في هذه الساحة، ويمكن إيجاز ذلك بالاتي:

1. الميدان السياسي:

سخرت «إسرائيل» الوسائل السياسية كهدف وكمنفذ للتغلغل في دول آسيا الوسطى، إذ توزعت إلى ثلاثة مجالات، وهي:

أ. **إقامة علاقات دبلوماسية**: بعد تفكك الاتحاد السوفيتي بدأت «إسرائيل» حملة لإقامة علاقات دبلوماسية مع دول آسيا الوسطى بفتح سفارات لها في عواصم تلك الدول، وعلى سبيل المثال، بدأت العلاقات الإسرائيلية، الكازاخستانية في نيسان (ابريل) 1992، وتطورت في السنوات العشرين الأخيرة، ولا سيّما عقب زيارة الرئيس الإسرائيلي السابق «شمعون بيرس» على رأس وفد كبير إلى كازاخستان في عام 2009[23]. وأقامت «إسرائيل»

(23) Israel - Kazakhstan relation from free encyclopedia. It is available at: en, Wikipedia. org.

كانت «إسرائيل» ثاني دولة بالعالم تعترف باستقلال جمهورية أوزبكستان عام ١٩٩١.

علاقات دبلوماسية مع تركمانستان عام 1992، وأولت اهتماماً خاصاً لعلاقاتها مع تركمانستان بسبب حدودها الطويلة مع إيران والتي تبلغ نحو (1000)كيلومتر[24].

وكانت «إسرائيل» ثاني دولة بالعالم تعترف باستقلال جمهورية أوزبكستان عام 1991، بعد الولايات المتحدة الأميركية، وانفردت «إسرائيل» بكونها الدولة الوحيدة من دول الشرق الأوسط التي تمتلك شركة نقل مُنتظمة في أوزبكستان مما سهل عليها الحركة في كل الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى[25].

ب. تبادل الزيارات الرسمية: كانت «إسرائيل» تبعث برجالها ووفودها الرسمية إلى دول آسيا الوسطى لتوثيق العلاقات بين الطرفين. وعلى سبيل المثال، اعترفت «إسرائيل» باستقلال أذربيجان في عام 1991 وفتحت سفارة في العاصمة (باكو) في 1993. ومنذ ذلك الحين، زار البلاد العديد من الوفود الإسرائيلية: ففي عام 1997، اجتمع رئيس وزراء «إسرائيل» بنيامين نتنياهو مع الرئيس السابق حيدر علييف؛ وفي عام 2009، انضم ثلاثة وزراء إسرائيليين وخمسون من رجال الأعمال إلى الرئيس الإسرائيلي السابق (شمعون بيريز) في زيارته للقاء الرئيس إلهام علييف، الذي يحتفظ معه بيريز بعلاقات قوية،كما زار وزير الخارجية الإسرائيلي أفيغدور ليبرمان أذربيجان في شباط (فبراير) 2010 ونيسان(أبريل) 2012[26]، وكذلك قام وزير خارجية «إسرائيل أفغيدور ليبرمان» في عام 2009 بزيارة إلى تركمانستان، لتوطيد العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين وفتح سفارة «لإسرائيل» في (عشق آباد) عاصمة هذا البلد[27].

ت. المشاركة في قمم دول آسيا الوسطى: دأبت «إسرائيل» على أن تتواجد داخل تخوم دول آسيا الوسطى، عن طريق المشاركة في النشاطات السياسية والاقتصادية، ولم تحدث هذه الخطوة لولا انفتاح تلك الدول على «إسرائيل»، بفتح الأبواب أمامها للجلوس معاً على مائدة المؤتمرات التي تخص شؤونها، وعلى سبيل المثال شارك «شمعون بيرس» النائب الأول لرئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك قمة دول آسيا الوسطى في كازاخستان والتي عقدت في حزيران (يونيو) 2006، والتقى على هامش القمة عدداً من الذين حضروا القمة. وكان من المشاركين في القمة المذكورة رئيسا روسيا والصين ورئيس وزراء الباكستان ونائب الرئيس الإيراني[28].

(24) صحيفة القدس العربي، لندن، 8 /4/ 2013.

(25) صلاح محمد ابوزيد، إسرائيل تجتاح أوزبكستان، بحث منشور في شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، وعلى الرابط: wwwawda.dawa.com.

(26) Benda Shaffer, Azerbaijan's Cooperation with Israel Goes Beyond Iran Tensions, April 16, 2013.It is available at: http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/

(27) صحيفة القدس العربي، لندن، 2013/4/8.

(28) جاسم يونس الحريري، التغلغل الإسرائيلي في دول آسيا الوسطى وانعكاساته على علاقات المنطقة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد 371، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010، ص80.

2. الميدان الاقتصادي

أ. توقيع اتفاقيات وعقود اقتصادية: حاولت «إسرائيل» أن تؤسس لها موطئ قدم اقتصادي في دول آسيا الوسطى، بتوقيع عقود اقتصادية تشمل المجالات الخدمية، والتنموية، والمشاريع الزراعية، وطرق الري، التي تمتلك «إسرائيل» خبرة متقدمة بها. وعلى سبيل المثال، قامت «اسرائيل» بإنشاء مشروع «ايزنبرج» الضخم لرفع انتاج محصول القطن، وهو المنتج الزراعي الرئيس في اوزبكستان، وقد حققت نجاحاً كبيراً في هذا المضمار مما جعل بقية الدول الإسلامية في آسيا الوسطى تسارع الخطى لعقد الاتفاقيات والاستثمارات مع الشركات الاسرائيلية مما سهل عليها التوسع في أنشطتها الاقتصادية[29].

(29) صلاح محمد ابو زيد، اسرائيل تجتاح أوزبكستان، مقال منشور في شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) وعلى الرابط: www.awda.dawa

ب. إشراك الخبرات الإسرائيلية في المشاريع الاقتصادية: تمتلك «إسرائيل» خبرات متقدمة في المجالات الاقتصادية، وتسعى إلى توظيف هذه القدرات في مجال توسيع تغلغلها داخل دول آسيا الوسطى، إذ يتولى خبراء إسرائيليون إدارة المشاريع المشتركة، وتطوير البنية الاقتصادية، وتوريد التقنية المتطورة. ومن أجل إنجاح الاستثمارات الإسرائيلية في دول آسيا الوسطى، واستغلالها كغطاء لعمل أجهزتها السرية، ومنها جهاز الاستخبارات الإسرائيلي «الموساد»، إذ زجت «إسرائيل» بشركات تابعة للجهاز للعمل في تلك المنطقة لجمع المعلومات، والتأشير إلى نقاط الضعف والقوة في تلك الدول لتوظيفها في الاستراتيجية الإسرائيلية اتجاه تلك المنطقة.

إنجاح الاستثمارات الإسرائيلية في دول آسيا الوسطى، واستغلالها كغطاء لعمل أجهزتها السرية، ومنها جهاز الاستخبارات الإسرائيلي «الموساد"، إذ زجت «إسرائيل» بشركات تابعة للجهاز للعمل في تلك المنطقة لجمع المعلومات.

د. إنشاء خطوط نقل الغاز من دول آسيا الوسطى إلى منطقة الشرق الأوسط: حاولت «إسرائيل» إيجاد منافذ خارج المنطقة العربية لتوريد المنتجات النفطية، ومنها الغاز إلى موانئها، ومن هذه المنافذ دول آسيا الوسطى، إذ تنعم أرضها بثروات هائلة من النفط والغاز. وقد وقعت في منتصف عقد التسعينيات من القرن المنصرم عقدًا من تركمانستان بقيمة (500) مليون دولار لتقوية مصفاة تكرير النفط في تركمانستان، فضلاً عن مد خط أنابيب غاز عبر تركيا لإيصاله إلى «إسرائيل» بواسطة شركة «مرهاف»[30].

(30) عيد المعطي زكي، التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى... رؤية استراتيجية، بحث منشور في شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت)، في 2010/11/30 وعلى الرابط: http:// www.alamatonline.net/ l3.php?id = 1211

تأتي «إسرائيل» ضمن أكبر خمس شركاء تجاريين لأذربيجان في السنوات الأخيرة. وكذلك تُعد أذربيجان أكبر مّورد للنفط «لإسرائيل.

هـ . تجارة النفط : بهدف تجاوز مشاكل توريد الطاقة اتجه الكيان الصهيوني نحو دول آسيا الوسطى، لكونها مصدراً مضموما لتوريد النفط الخام، وعلى سبيل المثال، تأتي «إسرائيل» ضمن أكبر خمس شركاء تجاريين لأذربيجان في السنوات الأخيرة. وكذلك تُعد أذربيجان أكبر مّورد للنفط «لإسرائيل»، إذ تزودها بـ(40%) تقريباً من استهلاكها السنوي، على حين تُعد «إسرائيل» سادس أكبر مستورد لصادرات النفط الأذربيجاني، ويصل النفط الأذري عن طريق خط أنابيب يمر عبر تركيا، واستمر في العمل حتى في ظل تدهور العلاقات الإسرائيلية التركية في السنوات الأخيرة. فضلاً عن ذلك، تشارك إحدى المؤسسات التابعة لـ «شركة النفط الحكومية لجمهورية أذربيجان» (سوكار) في أعمال التنقيب عن النفط والغاز قبالة سواحل «إسرائيل» في البحر المتوسط. وهذا المشروع هو الأول من نوعه لشركة «سوكار» خارج منطقة بحر قزوين والذي من شأنه أن يُسهم في تحقيق أهداف المؤسسة بأن تصبح إحدى شركات النفط الدولية[31].

(31) Benda Shaffer, Ibid.

ز. عقد المؤتمرات الاقتصادية: بعد أقل من ثلاثة أشهر على انهيار الاتحاد السوفيتي، كانت «إسرائيل» قد نظمت في العاصمة الأزبكية طشقند أول مؤتمر اقتصادي مشترك بينها وبين دول آسيا الوسطى في آذار(مارس) 1992، لبحث احتياجات تلك الدول من المشروعات والمساعدات الاقتصادية، والدور الذي يمكن أن تقوم به «إسرائيل» في تلبيتها[32].

(32) محمد عباس ناجي، الوجود الإسرائيلي في آسيا الوسطى، نشرة مختارات إسرائيلية، منشورة في شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) وعلى الرابط: http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/CI2R64.HTM

3. الميدان العسكري:

استغلت «إسرائيل» وجود طاقات علمية ضخمة ورثتها دول آسيا الوسطى من تركة الاتحاد السوفيتي، ومنها كازاخستان، إذ كانت تعد من أكثر الجمهوريات السوفيتية تقدماً من الناحية العلمية، فضلاً عن وقوع مطار «بایاكونور» الفضائي الشهير داخل أراضيها، وهو مركز إطلاق سفن الفضاء وتجارب الصواريخ وأبحاث حرب النجوم في العهد السوفيتي، وما تزال روسيا الاتحادية تستأجره للأغراض نفسها حتى الآن[33].

(33) عبدالله فلاح عودة الفضايلة، التنافس الدولي في آسيا الوسطى، رسالة ماجستير(غير منشوره)، مقدمة لجامعة الشرق الأوسط، عمان 2011، ص125

فضلاً عن ذلك قيام شركة «سابيتون ليميتيد الإسرائيلية» القابضة بشراء مجمع «تسيليفا» للتعدين والكيمياء في كازاخستان في عام 1999، وهو أكبر مجمع لمعالجة اليورانيوم في العالم، إذ يُعالج ما بين (130 ـ 150) طناً من خام

قيام شركة «سابيتون ليميتيد الإسرائيلية» القابضة بشراء مجمع «تسيليفا» للتعدين والكيمياء في كازاخستان في عام ١٩٩٩، وهو أكبر مجمع لمعالجة اليورانيوم في العالم.

اليورانيوم شهرياً، أي ما يبلغ (1560 ـ 1800) طن سنوياً. وبلغت قيمة الصفقة (727، 272، 3) دولار أميركي فقط (المبلغ غير واضح)، مع التزام الشركة بدفع أجور العاملين المتأخرة وقدرها نحو (5، 24) مليون دولار أميركي[34]، وأصبحت أذربيجان إحدى المستهلكين الرئيسين للأسلحة والخبرة العسكرية الإسرائيلية. وفي شباط (فبراير) 2012، صادق الجانبان على اتفاقية وقعت سلفاً تبلغ قيمتها (1,6) مليون دولار، وتشمل طائرات إسرائيلية بدون طيار ونظم مضادة للطائرات والدفاع الصاروخي، وكذلك تشارك شركات إسرائيلية في نقل المعلومات التكنولوجية كجزء من جهود أذربيجان الرامية إلى إقامة صناعة أسلحة محلية، وتقوم إحدى الشركات المشتركة بإنتاج آليات عسكرية بدون متحكم بشري في باكو[35]

(34) محمد عباس ناجي، مصدر سابق، ص 2.

(35) Benda Shaffer, Ibid.

ووفقا لآخر تقرير لوزارة الدفاع الأميركية وقعت أذربيجان عقداً مع إحدى الشركات الإسرائيلية لإنشاء مؤسسة مشتركة لإنتاج طائرات من دون طيار وتعود (51%) من هذه المؤسسة إلى أذربيجان في أيار من عام 2008 قام وزير الزراعة الإسرائيلي «شالوم سمحون» بزيارة إلى باكو، إذ روى المشاركون الإسرائيليون في المفاوضات كيف وصف الرئيس الأذري (إلهام علييف) بدقة العلاقات الثنائية بأنها (جبل جليد يتوارى 90% منه بعيدا عن أعين الدخلاء). وهذا صحيح تماما، إذ إن باكو توازن علاقات الصداقة مع «إسرائيل» بالتزاماتها في منظمة المؤتمر الإسلامي[36].

(36) حبيب فوعاني، ويكيليكس تكشف خفايا العلاقات الإسرائيلية الأذربيجانية، مجلة الحوار المتمدن، العدد 3348 في 2011/4/27 والمنشور في شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) وعلى الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=256717

المحور الثالث: العوامل المساعدة على التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى

استثمرت (إسرائيل) الفرصة التاريخية التي أتيحت أمامها عقب تفكك الاتحاد السوفيتي عام 1991، واستقلال الدول الإسلامية في آسيا الوسطى، وعندئذ بذلت ما بوسعها للتغلغل داخل هذه الدول، وبالاعتماد على عوامل عديدة ذاتية وموضوعية، وفي مقدمتها الآتي:

أولاً: الولايات المتحدة الأميركية: أدت الولايات المتحدة الأمريكية دوراً كبيراً ومهماً في نجاح دولة الكيان الصهيوني في الدخول إلى دول المنطقة،

وتعزيز علاقتها بهم وبناء أوسع شبكة علاقات شعبية ورسمية معهم، مستغلةً تعطش دول المنطقة للانفتاح على الولايات المتحدة الأميركية والدول الغربية الأخرى، والتخلص من التبعية لـ(موسكو) والاحتكام إليها، ولهذا أسهمت الإدارات الأمريكية المتعاقبة في تدعيم مشاريع التعاون الصهيونية مع دول المنطقة سياسياً واقتصادياً ومادياً، وحرصت على نجاحها وتميزها، لتكون نموذجاً ومثالاً، تحتذي به دول أخرى في المنطقة وخارجها[37].

جرى استثمار العلاقات القوية والمتعددة بين تركيا و«إسرائيل» في عقد التسعينيات من القرن الماضي في فتح الطريق أمام الكيان الصهيوني إلى العمق الآسيوي.

(37) مصطفى اللداوي، مصدر سابق، ص5.

ثانياً: الدولة التركية: جرى استثمار العلاقات القوية والمتعددة بين تركيا و«إسرائيل» في عقد التسعينيات من القرن الماضي في فتح الطريق أمام الكيان الصهيوني إلى العمق الآسيوي؛ كون تركيا تمتلك علاقات سياسية واقتصادية وثقافية مع دول آسيا الوسطى والتي تتحدث غالبية شعوبها اللغة التركية، ولا سيّما مع أوزبكستان، مما شكل التمهيد الأولي الواضح والصريح لـ"إسرائيل» في تلك المنطقة، وبالذات مع كازاخستان التي تمتلك ما يقارب من ربع احتياطي العالم من اليورانيوم الخام، مما دفع «إسرائيل» إلى النظر إلى هذه الثروة على إنها من الثروات المهددة نوويًا، في ظل وجود دول وتيارات إسلامية متطرفة في تلك المنطقة، فسعت «إسرائيل» مباشرة لشراء مجمع لمعالجة اليورانيوم في كازاخستان يُعدّ من أكبر مجمعات اليورانيوم في العالم[38]فضلاً عن توطيد العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية مع الدول المذكورة.

(38) أمينة سالم، الكيان الصهيوني في آسيا الوسطى: خطط التغلغل واستغلال الصراع، بحث منشور في مجلة السياسة الدولية عبر موقعها في شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) وعلى الرابط: http:// www.asiaalwsta.com/ bookDetails.asp? bookID = 12534

ثالثاً: الجاليات اليهودية: أولت «إسرائيل» اهتمامها بالجاليات اليهودية في دول آسيا الوسطى والتي كانت منضوية تحت المنظومة الاشتراكية في عهد الاتحاد السوفيتي، وسعت لتهجيرهم إلى «إسرائيل» لمعالجة الخلل الديموغرافي هناك وقد بلغ عدد المهاجرين اليهود منذ سنة 1990 إلى سنة 2008 نحو (45، 1) مليون مهاجر[39]. وعلى الرغم من انخفاض أعداد الجاليات اليهودية في دول آسيا الوسطى، إلا إنها مؤثرة في الميدان السياسي بواسطة عملها في القطاعات الاقتصادية المختلفة. وعلى سبيل المثال، يبلغ عدد اليهود على وفق آخر الإحصاءات المتاحة في كازاخستان (18000) نسمة، وفي أذربيجان (16000) نسمة، وفي طاجيكستان (900) نسمة، وفي تركمانستان (700) نسمة فقط[40]، وتمتاز هذه الجاليات بإتقانها اللغات

(39) نبيل السهلي جفاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، مقال تشر في موقع الجزيرة نت، في شبكة المعلومات الدولية وعلى الرابط: www.aljazeera.net.

(40) Jewish Population by country, The free Encyclopedia.It is available at: en.wikipedia.org..

المحلية، ومعرفتها كيفية التعامل مع سكانها مما سّهل على «إسرائيل» كيفية استثمارها، وقد عملت هذه الجاليات على تهيئة المجال في كافة الميادين لدولة الكيان الصهيوني للتغلغل في دول آسيا الوسطى .

رابعاً: ضعف الدور العربي: لم تنشغل أغلب الدول العربية والإسلامية بهذه الدول ولم تهتم بها، ولم تكن تعتقد إنها قد تستفيد من التعاون معها، فهي في أغلبها دولٌ نفطية وغازية، ولديها مقومات اقتصادية جيدة، فهي لا ترى فائدة من الارتباط والتعاون مع دول متخلفة، ارتبطت لسنواتٍ طويلة بأنظمة ديكتاتورية شمولية، وفي الوقت نفسه لم تبادر حكومات هذه الدول على الرغم من إنها بلاد إسلامية، بمحاولة التقارب مع الدول العربية والإسلامية، وهو ما جعل الساحة مفتوحة للكيان الصهيوني دون منازع أو ممانع[41].

(41) مصطفى أللداوي، الكيان الصهيوني في القوقاز واسيا الوسطى، مصدر سابق، ص7.

خامساً: ضعف دول آسيا الوسطى: تتصف غالبية الهياكل الأمنية والسياسية والاقتصادية للمنطقة بضعف ركائزها، مما أتاح الفرصة الذهبية «لإسرائيل» في زيادة تعاونها مع هذه الدول، سواءَ من إذ التعاون العسكري أو الاستثمارات الاقتصادية أو تزويدها بالمعونة الفنية التي هي في أمس الحاجة إليها، وكذلك أسهمت البعثات التدريبية في إدامة التواجد الصهيوني في المنطقة؛ لأن هذه الدول تحتاج إلى متخصصين في الاقتصاد والقانون والإدارة المالية وغيرها من المجالات، ويمكن لهذه البعثات أن تكون خير سفير لدولة الكيان في منطقة القوقاز وآسيا الوسطى[42].

أسهمت البعثات التدريبية في إدامة التواجد الصهيوني في المنطقة؛ لأن هذه الدول تحتاج إلى متخصصين في الاقتصاد والقانون والإدارة المالية.

(42) علاء فاروق، "إسرائيل» ودول آسيا الوسطى مصالح متبادلة أم استغلال صهيوني؟ بحث منشور في شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت)، وعلى الرابط: http:// www.alhoukoul.com/article/5402

الخاتمة

في ضوء ما تقدم، يتضح وبشكل لا يقبل اللبس أن التغلغل الإسرائيلي في الدول الإسلامية الست في آسيا الوسطى أتسم بالدقة والتنظيم وتنسيق الفعاليات بين ميادين تحركه، سواءً أكان ذلك من إذ إداراته، أم بتعدد مسالك عمله أو في دقة تحديد أهدافه وفي الاتجاهات كافة. وانفرد التغلغل الإسرائيلي بتحقيق أهدافه في ساحة يُفترض إن تكون مغلقة أمامه لكونها تضم ست دول إسلامية تتحدث غالبية شعوبها اللغة التركية، وتعكس هذه المفارقة مدى تقصير الدول العربية والإسلامية، وبخاصة الدول المجاورة لها كتركيا وإيران والقريبة منها كالعراق ودول مجلس التعاون الخليجي والتي

يُفترض بها أن تكون لها قدم السبق في توطيد علاقاتها وفي كافة الميادين، ولا سيّما السياسية والاقتصادية والعسكرية والدينية مع دول آسيا الوسطى عقب استقلالها عن الاتحاد السوفيتي واستثمار الروابط الدينية (لكونها دولاً إسلامية).

وفي الوقت الذي استغلت فيه «إسرائيل» خبراتها المتراكمة في مختلف ميادين الحياة، فأنها لاقت ردود فعل ايجابية ومشجعة من القيادات السياسية في غالبية دول آسيا الوسطى، فضلا عن تشجيع ومباركة الدولتين المؤثرتين في تلك الساحة وهما: الولايات المتحدة الأميركية وتركيا.

ومع ذلك، لا تزال الفرصة مُتاحة أمام قادة الدول العربية والإسلامية لتنسيق الجهود لتطوير علاقات دولهم مع دول آسيا الوسطى، ولا سيّما إن تحرك الدول العربية والإسلامية يحقق فوائد مشتركة لهذه الدول، فضلاً عن لكونه يسهم في مواجهة جانباً من مسالك التغلغل الإسرائيلي في دول آسيا الوسطى سواءً أكان ذلك في المدى المنظور، أم في المستوى الاستراتيجي.